وقد ذهب جمهور من كبار الفسيولوجيين الى ان اساس التبنُّج هو توقف فعل الاكسدة او زوالهُ لان الاكسدة تقل وقت فعل المنبجات ولكن ثبت الآن ان المنبجات تفعل بعض الاحيان فعلاً تاماً وبقي التأكسد على حالهِ وهذا دليل على ان ليس بين الاثنين علاقة سببية وان المنبجات تفعل بالخلايا سواء كانت محتاجة الى الاكسجين او غير محتاجة اليهِ

بطرس الاكبر

والحرب بين العثمانيين والروس

وعدنا في الجزء الماضي ان نفصل ما جرى في هذه الحرب وانجازاً لذلك نقول

كان السلطان احمد الثالث يود استرجاع ازوف (ازاق) من دولة الروس لجاء ترغيب كارلس الثاني عشر ملك اسوج لهُ موافقاً لغرضهِ . فامر الصدر الاعظم (محمد باشا البلطه جي) بتعبئة الجيوش والاساطيل وذلك في شهر اغسطس سنة ١٧١٠ . وفي ٢١ نوفمبر من تلك السنة اعلن الحرب على روسيا والتي سفيرها تولستوي في سجن الايراج السبعة . وبلغ القيصر ان الصدر الاعظم جيَّش الجيوش في سهول ادرنه فامر البرنس ميخائيل غالستوين ان يسير الى حدود البغدان بعشرة الايات من الدراغون لمراقبة حركات العثمانيين والتتار وامر غيرهُ من القواد باعداد الجيوش وفي الثامن من شهر مارس التالي أعلنت الحرب وشمل الفرح بلاد الروس كلها . وفي السابع عشر منهُ سار بطرس الاكبر الى بولندا ومعهُ زوجتهُ كاترينا وكان قد اقترن بها سرًّا منذ سنة ١٧٠٧ واشهر الآن اقترانهُ بها . وزار اغسطس ملك بولندا واستعان بهِ على محاربة الاتراك فوعدهُ بان يمدَّهُ بثلاثين الفاً من رجالهِ . ثم شرع الى دار الحرب معتمداً على مساعدة اميري الفلاخ والبغدان اكثر من اعتماده على ملك بولندا لكنَّ اكثر اعيان البغدان لم يطيعوا اميرهم بل انحازوا الى الاتراك واخذوا معهم كل ما عندهم من المؤونة ولم يكن مع عساكر الروس زاد يكفيهم اكثر من اسبوع . واتبع القيصر مشورة الجنرال رون وعبر نهر الدنستر وسار في قفر لا نبات فيهِ ولا ماء سبعة ايام الى ان بلغ نهر بروث وكانت الجيوش العثمانية قد بلغت نهر الدنيوب (الطونه) وعبرتهُ على جسرين اقامتهما عليهِ وحاول الجنرال رون نزع الجسرين فحالت الجيوش العثمانية بينهُ وبين سائر الجيش الروسي فاسى موقف القيصر محفوفاً بالخطر ولم يكن معهُ زاد ولا عليق لخيلهِ وكان الجراد قد التهم كل عشبة خضراء في تلك البلاد حتى الجذور

واتضح للقيصر حينئذٍ ان لا قبل لهُ بمحاربة الجيوش العثمانية فعزم على الفرار من وجههم . وكان عدد الجيش الذي عبر به نهر الدنستر ٣٨ الفاً فعددهُ حينئذٍ فوجدهُ ٢٤ الفاً فقط فامرهم بالصعود الى اكمة فيها اصول اشجار مقطوعة ليتحصنوا بها منتظراً سبيلاً للفرج لكن خان التتار سيفهم الى الاكمة وهاجم معسكرهم في اليوم التالي . واتصلت حينئذٍ جيوش العثمانيين بجيوش التتار فبلغ عدد الفريقين اكثر من مئتي الف واجتمعت كلها في سهل فسيح هناك وكان مع الصدر الاعظم القائد سيار الاسرجي وهو من القواد المعدودين فاشار عليهِ ان يقيم حاجزاً من التراب وينصب عليهِ ما معهُ من المدافع وهي خمس مئة مدفع ويصلي الروس ناراً حامية . ولو فعل لما ابقى على احد منهم لكنهُ لم يفعل

ومرض القيصر مما اصابهُ من الهم ورأى ان الدائرة ستدور عليهِ لا محالة فيفقد في لحظة واحدة ما انشأهُ في سنين كثيرة . ولم يجد وسيلة للهزيمة ولا للدفاع ولا للبقاء من غير زاد الى ان تأتيهُ النجدات فكتب الى مجلس الامة يخبرهُ بالخطر المحدق بهِ وبانهُ يئس من النجاة ويوصيهِ ان يختار خليفة لهُ رجلاً من اقدر الرجال على ادارة شؤون المملكة وامر قوادهُ ان يعقدوا مجلساً حربياً ويتشاوروا الخطة التي يجب ان يجروا عليها . فعقد المجلس في خيمة شافيروف وحضرتهُ الامبراطورة كاترينا وقرَّ القرار على ان يرشوا الصدر الاعظم وكانوا يعلمون انهُ محباب للمال فجمعوا للحال مئتي الف ريال واضافت اليها الامبراطورة كل حلاها ثم عادت الى خيمة القيصر واخبرتهُ بما قرَّ عليهِ رأى قوادهِ فلم يوافق على قرارهم الا مرغماً وكتب الى شافيروف ان يقبل شروط الصلح مهما كانت ويعطي العثمانيين البلاد التي يطلبونها . وان يخبرهُ دواماً بسير المذاكرة في امر الصلح حتى اذا لم تفلح يقوم برجالهِ ويحاول اختراق صفوف العثمانيين

اما الصدر الاعظم فلما رأى المال ابرقت اسرتهُ وصالح الروس على شروط اخف كثيراً مما قدَّروا فانهُ لم يطلب سوى استرجاع ازوف (ازاق) وهدم بعض الحصون والسماح للملك اسوج بالرجوع الى بلادهِ وعلى ذلك وضعت معاهدة هُش المشهورة . ولما عُلمت في روسيا شمل السرور البلاد كلها وكتب دوق ليون وكان مع الجيش الروسي يقول « لو اتانا احد في الصباح وقال لنا ان الصلح سيعقد على هذه الصورة لحسبناهُ مجنوناً او مصاباً بخبال في عقلهِ . ولما ارسل القائد العام عثمان الامان وانكتاب الى قائد الجيوش العثمانية قال لنا ان الرجل الذي اذنع جلالة القيصر بالدخول في هذه الحرب يجب ان يحسب من اشد الناس حمقاً ولكن ان كان الصدر الاعظم يقبل بعقد الصلح وهو يعلم المأزق الذي نحن فيهِ

فيكون اشد منهُ حقداً وعسى الله ان يعمي بصيرتهُ بالمال فينجو رجالنا بعد ان صاروا في قبضة يدهِ »

وعقد الصلح وسلم القيصر ورجالهُ ولكنهُ لم ينسَ بقيـة عمرهِ ما حلَّ بهِ من الخذلان وعقد جودت باشا فصلاً في تاريخهِ لهذه الحرب قال فيهِ ما نصهُ

« وكان بطرس الكبير المشهور قيصر الروسية هجم على قلعة ازاق في القريم وانهزم شر هزيمة كما ذكرناهُ فاغتنم فرصة الحروب الواقعة منذ سنين عديدة بين الدولة العلية والبندقية ولهستان والنمسا فاعاد الهجوم على قلعة ازاق واستولى عليها ثم اغتنمها ايضاً في حرب اسوج والدانيمرك فاشهرها على اسوج وكان قارلوس الثاني عشر ملك اسوج المعروف بين اهل الاسلام (تيمورباش) على غاية من الحكمة والتدبير والشجاعة فتغلب على أخصامهِ مرات كثيرة وان يكن طمع في تنزيل بطرس عن تخت ملكهِ ولكن هذا لم يلحقهُ من ذلك اقل ضعف بل ثابر على حربهِ في اطراف حدود لهستان المجاورة للدولة العلية فنال الغلبة وكاد ان يأخذ ملك اسوج اسيراً ففرَّ ملك اسوج الى بندر ملتجئاً لكهف الامان للسلاطين والملوك وهي الدولة العلية فظهر حينئذٍ الاختلال في بلاد اسوج وضمت روسيا قطعة عظيمة منها الواقعة في ساحل بحر البلطيق الى ممالكها

« وفي اثناء هذه الحرب تجاوز العسكر الروسي بعض الحدود السلطانية في حال تعقبهِ عسكر اسوج وكان تيمورباش (اي كارلس الثاني عشر) قبل ذلك انذر الدولة العلية بما يتوقعهُ من الدولة الروسية من الضرر والشر لها فاهتمت الدولة العلية الحرب عليها فشيد محمد باشا البلطه جي الصدر الاعظم والسردار الاكرم جسراً على نهر الطونه وقطع بساكرهِ ايالة (بسارابيا) من جهة بسانجي وكان الروس قطعوا قبل ذلك نهر بروث فنزلوا على ساحل الطونه في اراضي البغدان فلم يلتفت السردار اليهم بل استمر سائراً من الجانب الآخر وحاذاهم من غير ان يعبأ بهم بل بقي سائراً الى ان بلغ عمر قاطي وحاول عبور نهر بروث منهُ فعلم بذلك بطرس فارسل فرقة من الجند تمانعهُ العبور اعتقاداً منهُ بان منعهُ للعساكر العثمانية من العبور في عمر قاطي يلجئهم الى اقامة جسر جديد يستغرق بناؤهُ اياماً واعتقد ايضاً ان العثمانيين بعد مرورهم النهر لا بد ان يصرفوا بضعة ايام في ترتيب شؤونهم فيكون هو قد اتجهز الفرصة اللازمة في الاستعداد لقابلتهم فاخطأت سهامهُ الغرض وذلك لان العساكر الاسلامية لم تنتظر تشييد جسر آخر بل تجشمت النهر وقطعتهُ واكرهت الروس على الفرار

وفي الليل شيدت ثلاثة جسور مشى عليها القسم الاكبر ممن بقي منها عند السحر فتخطوا الروس وهزموهم شر هزيمة واحتقوم بمعسكرهم وفي الصباح عند مرور العساكر العثمانية جميعاً على تلك الجسور ومع كون المسافة التي بينهم وبين المعسكر الروسي كانت نحو ست ساعات قطعوها غير مبالين بالسهر ومشاق الطريق فبلغوا المعسكر الروسي بغتة عند العصر ولم يطلبوا الراحة من التعب بل قاجأوا الاعداء بالهجوم فلما رأى ذلك بطرس تحير وارتبك حيث انهُ كان يتوقع هذه الحال بعد خمسة او ستة ايام فانهزم بجنوده فعارضهُ النهر من جهة وكان خان القريم في الجهة الاخرى فقطع عليهِ خط الرجوع من البر فبات محصوراً واجبرهُ الحال على طلب الامان وهو في غاية الذلة والقهر وقد ثبت بعد ذلك ان عسكر الروس في اثناء هذا الحصار اكلوا قشور الاشجار . ولذلك التمس الصلح والامان من السردار الاكرم معلناً لهُ انهُ يرضخ لجميع مطالبهِ مهما كانت فاجابهُ الى ذلك السردار الاكرم وربطهُ بشروط شاقة لا تستطيع دولة ما على قبولها منها عدم تداخلهِ في احوال الدولة وان يرد قلعة ازاق (ازوف) للدولة العلية وان يعطيها ما شيدهُ على الحدود من القلاع وان لا يكون لهُ سفير في الاستانة وان يقبل بتنازلهِ عن مقام سائر الملوك . فالجأتهُ الضرورة الى قبول هذه الشروط العنيفة وانعقد الصلح واخذ منشور الوزير البلطه جي وسار الى مملكتهِ

« وكان السردار المشار اليهِ صاحب حيل ودهاء دقيق الفكر في اعمالهِ وحركاتهِ حتى انهُ نال مسند الصدارة العظمى بما اجراهُ من الدسائس الكثيرة . ثم لما وقف حضرة السلطان احمد خان على حقيقة حاله اعرض عنهُ وعزلهُ غير انهُ لما ظهرت اخيراً حوادث روميا واسوج انتضت المصلحة توليتهُ مقام الصدارة مرة ثانية فاحسن فيها العمل وتغلب على ذلك الرجل الكثير الحيل وهو بطرس الاكبر وكان في امكانهِ محو عسكر الروس عن آخرهِ ولكنهُ لم يرَ من الحكمة تتبع اثر الاعداء المنهزمين الذين قبلوا بشروط هذا الصلح فرضي بالظفر الذي وقع لهُ وقنع قناعة مبنية على قاعدة الحزم والاحتياط وشعار المروءة فكان من ذلك ان بعض المؤرخين نسبهُ الى الغفلة وكان رجال السلطنة في الاستانة غير آمنين منهُ فسعوا في عزلهِ زاعمين ان الفرصة قد سنحت لهُ فكان ينبغي لهُ ان يمحق عسكر الروس عن آخرهِ وادعوا عليهِ انهُ اخذ رشوة من الروسيا لذلك قيل بالصلح الا ان حضرة السلطان احمد خان رد كلام الوشاة بقولهِ انهُ لا يرى من الصواب عزل مثل هذا الوزير الذي وجد في مثل هذه النزوات بل من الصواب ان يحسن اليهِ ويتلطف بهِ ولكن الاقتراء في حقهِ كان قد بلغ مبلغاً لا يمر في خاطر وخيال فتمكنوا اخيراً من عزلهِ ونفيهِ قبل ان يصل الى الاستانة وهو وان كان

بري، الذمة من هذا الافتراء. في صدارته الاولى ارتكب كثيراً من الدسائس على كثيرين فظهر به الآن سر قولهم الجزاء من جنس العمل »

وهاك صورة منشور الصدر الاعظم الذي اشار اليه جودت باشا منقولة عن تاريخه

« الباعث لتحرير الكتاب الصحيح النصاب هو انهُ بتوفيق الله الملك العلام انتهت حرب عساكرنا المنصورة مع قيصر الموسقوف وعساكره في ظرف نهر بروث وبعد التضييق عليه فبلطفه تعالى الكريم وفضله العميم طلب القيصر المرقوم اجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح والصلاح على الوجه الآتي بيانهُ وهو ان قلعة ازاق مع اراضيها وسائر ملحقاتها يجري تسليمها كالاول للدولة العلية. والقلعة الجديدة الكائنة في اعالي طيفان وقازاكه وصمار المختصة بالقيصر تهدم بالكلية والمدافع والجبخانة الموجودة ضمن قازاكه يجري تسليمها بتمامها للدولة العلية وفيما يأتي من الزمن لا يبنى في المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع اللوبين والتابعين لهم وهم راباش والبورتقال ولا مع القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دونكر اي خان خان القريم بل يرفع القيصر يدهُ عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن . وبعد اليوم لا يحق للقيصر ان يقيم سفيراً في استامبول من طرفه واما التجار الروسيون الذين يأتون برًّا للممالك المحروسة لاجل التجارة فانهم مأذونون في الاقامة فيها. والاسرى من المسلمين الذين اسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر ان يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم. وملك اسوج حيث انهُ التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه الى مملكته بالامن والسلامة ولا يحصل لهُ التعرض والممانعة من طرفهم قطعياً واذا وجد بينهم عدم توفيق ورضاء اتحاد فعليهم ان يجريا المصالحة. وانا ارجو من كمال افضال مولانا وسلطاننا صاحب الشوكة والعناية والعظمة ومن فيض مكارمهِ الملوكانية غض النظر من طرف الدولة العلية عن الحركات الخارجة عن الادب التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة وسائر المنسوبين الى الممالك المحروسة وان لا يصير عليهم فيما يأتي من الزمان تعدي كما تقرر ذلك في الشروط والعهود . وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأعطي لطرف القيصر الى ان يعقد العهد والميثاق ان شاء الله تعالى في دار السعادة بالوجه المشروح وتعطى صورتهُ لهُ. وبعد ان يأخذ القيصر صك العهد فلا تكن حينئذ ممانعة ومداخلة في امر ذهاب عساكره الى بلاده في الطرقات المستقيمة لا من طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من افراد طوائف التاتار وجماعتهم . واما امين اسرار القيصر قدوة اعيان الملة المسيحية قارون فالجليم بترو شانروف والجنرال

ميخائيل اولديورس حفيد شرمت خمّت عواقبها باخير حيث انهما كانا حضرا من طرف القيصر للعسكر المنصور ليكونا رهناً فمن بعد تسليم المواد المذكورة واعطاء صك العهد من طرف القيصر واتمام خدمتها يعطى لها الاذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما الى بلادهما بلا تأخير وليبان ذلك حرر هذا في اليوم السادس من جمادى الاخيرة سنة ثلاث وعشرين ومئة والف »

بيورلدي صحراء
خوش كجدى

اما القيصر فعاد الى عاصمته وجهز مئتي سفينة حربية وغزا بها بلاد اسوج واجتاح ابو عاصمة فنلندا ونقل مكتبتها الكبيرة الى بطرس برج وعاد الى اسوج في السنة التالية وكاد يدخل عاصمتها ثم انقلب على شمالي المانيا وحاول ان يصطلح مع ملك اسوج ويستعين به على ملك انكلترا ويعيد آل ستورت الى الملك فيها وان يحالف ملك فرنسا لويس الخامس عشر ويزوجه بابنته ثم عزم على زيارة فرنسا ثانية فجاءها ولكن ليس كما جاءها اولاً لانهُ صار الآن يظل بلتاوى ومنكول وصاحب البلطيق وشمالي المانيا ومصلح بلاد الروس الكبيرة ومؤسس عاصمة من أكبر العواصم

ورآهُ سان سيمون ووصفهُ فقال « لقد ادهش هذا الملك باريس بمسائلهِ عن كل فرع من فروع الحكومة والتجارة والتعليم والبوليس فانهُ كان يسأل عن كل كبيرة وصغيرة ويستقصي كل شيء . فوكل ما بدا منهُ يدل على بُعد نظرهِ وقوة استدلالهِ . يظهر من ملوكهِ انهُ من اعاظم الرجال واشدهم انفةً واعلاهم كعباً واقلهم ارتباكاً . وفيهِ شيء من طرف الناتج عن سلامة الطبع ولكنهُ لا يخلو من سذاجة البداوة ولذلك تراهُ لجوجاً بعيداً عن المجاملة لا تعلم اغراضهُ ولا يطيق ان يعارضهُ احد . اذا جلس للطعام لم يجرِ على آداب المائدة واذا شرب بعدهُ افرط في الشرب وخرج عن الاداب المألوفة . وقلما يخفي انهُ ملك مطلق الارادة . وغرامهُ بمشاهدة المناظر الجديدة وكراهتهُ للسير في موكب حيث يكون قبلة للناظرين وحبهُ للحرية وانفلاتهِ من كل قيد كل ذلك يحملهُ بفضل ركوب مركبة عادية مأجورة على الركوب في مركبة ملكية فيثب الى اول مركبة يصادفها في طريقهِ ويقول للسائق ان يذهب بهِ في المدينة او خارج الاسوار . وهو طويل القامة مجدول العضل اميل الى النحافة منهُ الى السمن مستدير الوجه عالي الجبين مقوس الحاجبين قصير الانف غليظ الشفتين اسمر الجلد عيناهُ كبيرتان سوداوان براقتان ظلمتهُ مهيبة ووجههُ بشوش اذا اراد ولكنهُ عابس سيء غالب الاحيان . وكثيراً ما ينقلب سحنتهُ فجأةً فتزول طلاقة وجههِ ويظهر محياهُ شاحباً ولكنهُ لا

يلبث كذلك اكثر من لحظة . وسيماؤهُ الذكاء والتفكير والعظمة مع شيء من الدعة . وهو على بساطة لبسهِ وركوبهِ المركبات العادية لا تخفى عظمتهُ على الناظر اليهِ »

ولم يحتفل مدة اقامتهِ في باريس بالرسميات الفارغة بل كان همهُ البحث في شؤون الحكومة والتجارة والعلوم والامور الحربية . لم يزر الامراء الذين من بيت الملك بل زار معامل المركبات وحوانيت الصاغة ومستشفيات مرضى الجنود وذاق طعامهم وعاملهم كما يعامل الجندي رفاقهُ . وأعجب بمرأى انوال الغوبلين والمرصد الفلكي وبستان الملك ومجموعة رسوم الحصون والآلات التي يرفع بها الماء ويوصل الى ڤرساليا . وضُرب لهُ وسام في دار الضرب كتب عليهِ عبارة لاتينية للشرجيليوس الشاعر الروماني وهي Vires acquirit eundo ومعناها « بالاسفار لمراز القوى » وحضر اجتماع اكاديمية العلوم فانتخبتهُ عضواً فيها وأُري خريطة لمملكتهِ فاصلحها بيدهِ ورأى تمثال رشليو في مدرسة السربون فاعتقدهُ . وزار مدام منتنون كاثر باق من عهد لويس الرابع عشر وكانت طريحة الفراش فرفع مخفف سريرها ونظر اليها ولم ينبه بكلمة ولا هي قالت شيئاً

وكان غرضهُ ان يحالف فرنسا على جورج الاول ملك انكلترا ليرد الملك الى بيت ستورت كما تقدم فلم يفلح لان فرنسا كانت تعد محالفتها مع انكلترا اساس سياستها الخارجية . وقد ذكر ذلك سان سيمون محطئاً فرنسا وقال انها ندمت بعدئذ على انحيازها الى انكلترا واحتقارها لروسيا ولات ساعة مندم

وأُصيب في اخريات ايامهِ برزيئة عائلية فانهُ تزوج وعمرهُ سبع عشرة سنة فتاة من اسرة قديمة تحب القديم وتكره الجديد فلم يوافق طبعها طبعهُ ورُزق منها ولداً سماهُ الكسس فربتهُ على حب القديم وكراهة الجديد فاضطر ان يطلقها ويتزوج بغيرها فزادت تكريه ابنهِ بهِ . وأتى بالمعلمين الاكفاء لابنهِ فتعلم وتفقه رغماً عنهُ لانهُ كان يفضل معاشرة القسوس والرهبان على معاشرة العلماء ورجال السياسة ولا يقبل في مجلسهِ الاَّ الناقمين على ابيهِ وعلى القوانين التي سنها والاصلاحات التي ادخلها الى البلاد . وحاول ابوهُ ان يصرفهُ عن ذلك بالنصح والارشاد على غير جدوى . ومما قالهُ لهُ في هذا الشأن . « ان خوفي من المستقبل ينغص عيشي ويزيل بهجة النجاح الذي نجحتهُ في عملي لاني اراك تحتقر كل ما يجعلك اهلاً للملك بعدي واني لاحسب اهمالك هذا عصياناً عليَّ لانك لا تستطيع ان تعتذر بضعف عقلك او بخافة جسمك . ونحن كنا مختفين فظهرنا بعد الجهاد الطويل بواسطة الحروب التي عجَّت الامم الاخرى ان تعرفنا وتحترمنا ومع ذلك اراك تكره ان تسمع اسم

الحرب . ولا بد ان اموت فلن اترك ما انشأتهُ . ان كنت لا تغير سلوكك اضطررت أن احرمك من ولاية عهدي . اني لم اتخل على بلادي بحياتي فهل تظن اني اتخل عليها بك . البعيد الصالح لحكم خير من القريب الذي لا يصلح لهُ » . ثم ارسلهُ في كثير من مهام المملكة فقضاها مكرهاً وكان يقول ان صحتهُ ضعيفة وذاكرتهُ ضعيفة وانهُ يفضل ان يصير راهباً على ان يصير ملكاً فامهلهُ ستة اشهر لكي يتصرف على عزمهِ . واشار عليهِ احد خواصهِ ان يذهب الى الدير ويترهب وحتى مات ابوهُ يعود الى الملك لان القلنسوة لا تحمّر برأسهِ . ثم استغفل اباهُ وهرب مع خليلتهِ الى المانيا وسار الى فينا ونزل على امبراطورها وطلب حمايتهُ من ابيهِ . فبعث ابوهُ واتى بهِ وحاكمهُ توجد انهُ كان محور دسيسة كبيرة يراد بها قلب النظام الحاضر وارجاع النظام القديم . فاضطرهُ حينئذٍ ان يوقع عهداً بالتنازل عن حقهِ في المُلك ثم اوقع العقاب الصارم بالذين ثبتت عليهم الخيانة . ونقول العقاب الصارم لا يؤدي جزءاً من المعنى المراد فان الجنرال خليوف مثلاً سُلخ جلدهُ وهو حي ورئيس الاساقفة كسّرت عظامهُ وغيرهما عُذب ثم قتل . وحُكم على الكسس بالقتل فجلد ٢٥ جلدة بسوط لا يعيش من يجلد بهِ ثلاثين جلدة وجلد في اليوم التالي ١٥ جلدة فمات ولم يظهر على ابيهِ انهُ حزن عليهِ او ندم على ما فعل وهي قساوة نادرة المثال

قلنا ان بطرس الاكبر تزوج بخليلتهِ كاترينا وهي فتاة أُسرت من مربنجرج سنة ١٧٠٢ فباعها المرشال شرمتيف للبرنس منشيكوف ورآها القيصر في بيتهِ فاحبها وتزوج بها سرًّا وكان اسمها مرتا فلما تعمدت في الكنيسة الارثوذكسية سميت كاترينا ومنحها لقب الملك سنة ١٧١٠ ثم لما طلق زوجتهُ الاولى اقترن بها علانية سنة ١٧١١ ومن ثم لم تعد تفارقهُ وكان ينسب اليها نجاتهُ من معركة بروث المذكورة آنفاً . ثم جعلها ولية لعهدهِ سنة ١٧٢٢ وفي ٧ مايو سنة ١٧٢٤ تُوّجت في كنيسة موسكو امبراطورة على روسيا ووضع على رأسها تاج فيهِ ٢٥٦٤ حجراً من الحجارة الكريمة وفي اعلاهُ ياقوتة قدر بيضة الحمامة وفوقهُ صليب من الماس

وتوفي بطرس الاكبر في ٢٨ فبراير سنة ١٧٢٥ وهو كهل في الثالثة والخمسين من عمرهِ وكانت الامبراطورة كاترينا تمرضهُ وبقيت معهُ الى آخر لحظة من حياتهِ واغمضت عينيهِ بعد موتهِ . ولا شبهة في انهُ كان من اعظم الملوك وانهُ هو الذي رقى روسيا وجعلها من الممالك العظيمة وبذل في ترقيتها كل قوى جسدهِ وعقلهِ ولم يضن عليها بنفسهِ وولدهِ